

١٥- باب في التوحيد وغربة الدين

أ- وقول الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢)﴾ الآيتان [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢].

ب- وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ . الآية [فاطر: ١٣].

أ- ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

أراد المؤلف من هذه الترجمة بيان ما عليه أهل الشرك في عهد النبي ﷺ عندما دعاهم وقاتلهم فيبين بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله ممن هذا وصفه .

وبهذا الوصف فإنهم لا يستحقون العبادة .وهذا استفهام للتوبيخ فهم لا يخلقون حتى النملة بل هم مخلوقون فكيف ينفعون غيرهم ،فهم إما جماد لا يعقلون أو أحياء لا يسمعون أو أموات لا يجيبون من دعاهم وفي الآية صفات هؤلاء المعبودون من دون الله وهي أربعة .

١- أنهم لا يخلقون شيئا .

٢-أنهم مخلوقون مربوبون .

٣- أنهم لا يستطيعون لهم نصرا .

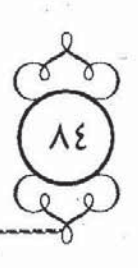
٤- أنهم لا ينصرون أنفسهم .

ب - ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ .

وصف الله آلهتهم بأربع صفات كذلك :

١- أنهم لا يملكون شيئا حتى القطمير

٢- أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم .



ج- وفي الصحيح عن أنس قال: «**شج النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾**»(٨١).

ح- وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ـ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ـ: اللهم العن فلانًا وفلانًا، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾**»(٨٢).

٣- أنهم لو سمعوا ما استجابوا.

٤- أنهم يكفرون يوم القيامة بشرك هؤلاء. فهذه حالة المشركين وإنهم خسروا الدنيا والآخرة.

ج- وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال: فإذا كان هذا أفضل الخلق وأقرب الناس منزلة وأفضل الأنبياء لم يستطع أن يدفع عن نفسه ولا عن أصحابه وهم أفضل القرون وإذا كان كذلك لم يستحق أن يعبد من دون الله ويشرك به معه. وما حصل يوم أحد للنبي وأصحابه بذنوبهم إنما حصل لحكمة بالغة وهو أن محمدا وأصحابه لا يدفعون الضر عن أنفسهم فكيف يدعون فغيرهم من باب أولى، والذنب هو مخالفة من كانوا على جبل الرماة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وتنازعهم.

ح- حديث ابن عمر أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «**اللهم ألعن فلانا ...**»

---

(٨١) **صحيح**.

رواه البخاري معلقا في المغازي (٧/ ٣٦٥) ووصله مسلم (١٧٩١).

(٨٢) **صحيح**.

رواه البخاري (٤٠٦٩).



وفي رواية : على صفوان بن أمية ، وسـهيل بن عمرو ، والحارث ابن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٨٣) .

ﻫـ - وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٤]، **فقال : يا معشر قريش ، أو كلمة نحـوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغـني عنكم من الله شيئًا ، يا عـباس بن عبدالمطلب ! لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ ، لا أغني عنك من الله شـيئًا ، ويا فـاطمة بنت محـمد! سليني من مـالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا»**(٨٤) .

وقد دعا على الحارث بن هشام وصفوان بن أمية وغيرهم من صناديد قريش ثم أسلموا وهداهم الله ولم تقبل دعوته فيهم ولا لعنه لهم . فإذا كان سيد ولد آدم لم تقبل دعوته فيهم ولم يضرهم فكيف غيره ؟ بل الله أعلم بأحوال عباده .

ﻫـ - حديث أبي هريرة لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ .

لا أغني عنكم من الله شيئا : فنفي أن تنفعهم قرابتهم له ﷺ إذا لم يؤمنوا بل أرشدهم إلى شـراء الإيمان واتباع ما جاء به الرسـول وأن هذا هو طريق النجاة

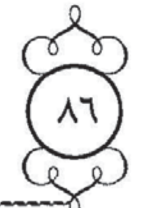
---

(٨٣) إسناده ضعيف.

رواه البـخاري مـرسلا (٤٠٧٠) من طريق سـالم بن عبـدالله بن عمـر مرسـلا ووصله الترمذي (٣٠٠٤) والطبري في «التفسير» (٧٨١٨)وأحمد (٢/ ٩٣) من طريق عمـر بن حمزة عن سـالم عن أبيه مرفـوعا . وفيـه عمر بن حـمزة وهو ضعيف . وقد صح عن النبي ﷺ أنه سمى في دعائه قبائل يلعنهم انظر البخاري (٤٥٦٠) ومسلم (٦٧٥) واللفظ له وذكر الحديث وفـيه اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصة الله ورسوله .

(٨٤) صحيح.

رواه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦) .



. . . .

وهو التوحيد . وهذا هو الذي ينفعهم أما ماله فيستطيع أن ينفعهم به . فعلم أن العبادة تكون لله وحده ولا يجوز طلبها من غيره وإذا كان النبي لا يستطيع نفع أحد دون الله فغيره أولى .

وهذا فيه رد على المشركين الذين يطلبون النفع من غيرهم ويقولون : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ فسمى الله فعلهم هذا عبادة وأمر نبيه بمقاتلتهم . لأنهم مشركون .

أما دعاء الحي القادر فلا بأس به بل هي أسباب حسية معقولة ليس لها تعلق بالغيب ولا هي متعلقة بالأموات .



